المجلة الجزائرية للدّراسات الإنسانية
E.ISSN: 8506-2716
ISSN : 2716-7984
المجلد:04/ العـدد:01 (2022)، ص ص:60- 82

تجليات التواصل الصامت في منظوم الشعر الاموي

Manifestations of silent communication in the Umayyad poetry system

د . وسن صادق عباس [1]
Dr. Wasan Sadiq Abbas
جامعة واسط – العراق
walbadrawy@uowasit.edu.iq

د . حسن هادي حسن
Dr . Hassan Hadi Hassan
جامعة واسط ،العراق
hasanhadi@uowasit.edu.iq

تاريخ الاستلام:2021/11/2 تاريخ القبول: 2022/02/01 تاريخ النشر: 2022/07/24

ملخص :جاءت الدراسة الحالية لتسلط الضوء على تجلي نوازع الاختلاجات والرغبات الداخلية التي تملء كوامن النفس والوجدان بهيئة علامات او اشارات حركية مقصودة وموجهة للآخر ، وبالأخص حينما يكون الدافع من ورائها هو التمويه لإخفاء المسكوت عنه مما لا يراد الجهر به أو الابلاغ عنه على مستوى الجماعة ، وتلك الدوافع السلوكية على خصوصيتها كانت وما تزال تشكل بالغ الأثر في ايصال الشفرات المرئية بما يحقق الغرض الذي تنقله الكلمات فتكشف عن معاني لغوية مكثفة قد تفوق بأضعاف التعبيرات والاشارات اللفظية ، وفي الوقت نفسه لا تشترك معها في طريقة التعبير سوى ما تواضعت عليه الاطراف المتبنية لها .

وقد اتخذ اصحاب الروابط الوجدانية تلك العلامات التواصلية الدالة وبالأخص في بيئاتهم الحاضنة ذات النسق الاجتماعي المقيد بالأعراف المتوارثة بطبيعتها المنغلقة ، كالبيئة العربية الاسلامية ، هذا المعطى الاشاري بالغ الاثر للوثوب خلف مكامن الشبهة وتبعاتها السلبية المرفوضة ضمن ذلك المجتمع ، وبالمقابل فان تلك النوازع الاشارية الصامتة نجدها قد حققت لها حيزا منظوماً لا يستهان به ضمن التراث الشعري الاموي .

[1] - اسم الباحث المرسل

كلمات مفتاحية : التواصل . الصمت . الشعر الاموي .

Abstract : The current study came to shed light on the manifestation of kinetic signs of an emotional nature, which hide behind them purposes that are not intended to be revealed in front of the group. He excels by weakening the verbal expressions and signs, and at the same time, the method of expression does not share with them except what the adopting parties were humbled by.

Those who have emotional ties have taken these signifying communicative signs, especially in their incubating environments with a social pattern bound by inherited norms by their closed nature, such as the Arab-Islamic environment. It achieved an organized space not insignificant within the Umayyad poetic heritage.

1. مقدمة:

بينت الدراسات اللغوية الحديثة التي جاءت على يد العالم السويسري (دي سوسير) بان كوامن المخرجات اللغوية وموضوعاتها التي تقابل مظاهر وظواهر البنى الموضوعية للعالم هي في الواقع لا تمت الى تلك التجليات العيانية باي صلة سوى انها اخذت مكانها وتأصلت ضمن الحيز الالسني للبنية التصورية العامة نتيجة التواضع عليها من قبل الجماعة التي تربطهم لغة مشتركة ، فالرابط وحسب قول (دي سوسير) (الذي يجمع بين الدال والمدلول هو رابط اعتباطي أو بعبارة اخرى وبما اننا نعني بكلمة دليل المجموع الناتج عن الجمع بين الدال والمدلول ، يمكننا ان نقول ان الدليل اللغوي اعتباطي ، تبعاً لما اتفقت علية مجموعة لغوية ما) (فردينان دي سوسير ، 1985 ، ص11،113) ، وعليه فان كل ما من شأنه ان يضاهي مخرجات العالم الموضوعي او الشهودي لا يعطي ضمن الدلالة الحقيقية في اللغة للشيء المرموز له اشارة أو علامة تتناسب ومعطيات ذلك الشيء ، أو المسمى ، مهما اختلف في نوعه أو جنسه او فصله او حتى حجمه ، أو بيئته ، مثلاً

الاسم او الرمز اللغوي للشجرة الذي هو في الواقع لا يمت بصلة الى النموذج النباتي القائم والمتفرع سوى بالتواضع والاتفاق الذي قيدته ووضعت اسمه الجماعة التي تحتضنها لغة واحدة وهي اللغة العربية ، وكذلك في باقي اللغات الاخرى ، وعلى اختلاف الرموز اللفظية الموضوعة لكل اصل من اصول وتجليات المرجع ، وتماشياً مع تلك الآلية يبرز لدينا مفهوم قائم جادت بتأسيسه ووضع قواعده الجماعات اللغوية على اختلاف مشاربها حينما اسست لحضور اشكال التقابل اللغوي لموضوعات الواقع العياني ، ومما لاشك فيه فان تحقق هذا الاتفاق الجمعي قد افضى الى استتباب لغة تواصلية قائمة على الربط بين المفردات اللغوية برموزها الدالة وبين كل ما ينطبق على صفات التعبير اللفظي المتبادل الذي يعين مفاهيم الاتصال وديمومة المعنى الثقافي بمجموع تمفصلاته واشكاله المؤسسة لمستويات شبكة الخطابات الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية ... ، فتتولد اثر ذلك الظاهرة الخطابية او سياق الثقافة المحلية من خلال مد شبكات التواصل اللغوي التي تؤصل معطيات الرسائل المبثوثة والمستلمة ضمن الدائرة اللغوية للمجتمع الواحد ، عليه فالغاية من التواصل اللغوي هو تحقيق مصاديق أو معاني حقيقية معلنة للموضوعات المراد الافصاح عنها ، أو استحضار تفاصيلها بوساطة المعاني والملفوظات اللغوية ، وفي حال توافق المعنى مع الواقع المراد ايصال شفرات مضمونه الى الآخر سوف يتحقق حينها مدلول الحقيقة أو ما يسمى بالتوافق عند علماء اللسان ضمن الخطاب المعلن ، وفي كل الاحوال فالمصاديق تكون اعتبارية وليست حقيقية ، انما في النهاية تعطي لتلك الصورة الذهنية فكرة حقيقية ومعنى واقعي عن وجودها وما يرتبط بها من علامة لغوية تشير الى مضمونها ، (فعندما يتحدث الناس فانهم يستخدمون رموزاً صوتية اعتباطية لكي يصفوا شيئاً ما حدث أو ربما حدث او واقعة وانه لا يوجد اتصال بالضرورة بين هذه الرموز وما حدث ، فالكلام هو عملية انتقائية جداً بسبب الطريقة التي تعمل بها الثقافة ، اذ لا توجد ثقافة ابتكرت وسيلة للكلام بدون هيئات حركية مرمزة تحمل طابعاً اعتباطياً) (ادوارد تي هول ، 2007 ، ص127) .

ومثلما تنتهج آلية المسميات والمعاني المتحققة بوساطة اللغة التواصلية الوضعية لموضوعات ومظاهر الواقع مبدأ الاعتباطية ، كذلك تنضوي احدى آليات او علامات التعبير السلوكي للانسان على هذا المفهوم ، حينما تنتاب كوامن الذات بعض النوازع التي تعكسها حاجة داخلية ملحة في ارسال رسالة الى الآخر يمنع الجهر بتصريحها اللغوي او اللفظي الآني مجموعة من الضواغط الاجتماعية والاخلاقية التي تحتمها طبيعة الموقف الملازمة والمتساوقة مع البنية المفاهيمية للجماعة الحاضرة ضمن الزمان والمكان لدائرة الخطاب ، فتؤول معها لغة الخطاب وبالضرورة الى هيئة سلوكية عرفت عند بعض من علماء الانثروبولوجيا بالتواصل الصامت يصدر معها شكل من اشكال العلامة الحركية لتعيد بث الرسالة للآخر بطريقة مرئية مفارقة للغة المسموعة ، حتى تكون هذه الاشارات بمثابة الشفرة الحاملة للمعنى والمعدة لأن تكون مقتصرة في فك رموزها على المعني بها ، أو المخصوص بعملية التلقي .

فعملية الاتصال الغير لفظي او الصامت لا تفهم الا في ضوء الثقافة المجتمعية التي تستخدم في اطارها ، اذ تختلف بعض الحركات والاشارات في دلالاتها ومعانيها من ثقافة الى اخرى ومن مجتمع الى آخر (عماد فاروق محمد ، 2009 ، ص10) ، ويتحقق ايضاً في مثل هكذا مستويات للبث مبدأ الاعتباطية ما بين الدال (والذي يشير هنا الى الرموز الحركية) وما بين المدلول أو المعنى كما في اللغة المسموعة ، اذ تنزاح تلك السلوكيات المرمزة عن التصريح المفهوم الذي تفرضه مصاديق المعنى المراد التبليغ به باتجاه التأويل في تجربته الحية للشعور والمتمثل بالإيماءات الحسية التي تفترق مع اللغة المنطوقة بالأداة إلا أنها تلتقي معها في النهاية بالمضمون ، وعليه تنتج من خلال ذلك المقترب الاعتباطي بنية جديدة للتواصل تقوم في ظاهرها على مد جسور بديلة للحوار مع الآخر تسد الحاجة الى تحقيق الاحالة المتبادلة بين مضمون الشعور وصورته ، وتؤسس في باطنها نسق دلالي ينتهج مبدأ التحايل للوثوب خلف الموانع والعوائق الاجتماعية والاخلاقية التي تؤسس ضمن بنيتها المغلقة مبدأ الرفض لمثل هكذا مسارات سلوكية تهدد دعائم المجتمع ومرتكزاته القيمية

وبالإشارة الى البنية التواصلية الصامتة تلك وطريقة المجادلة الحوارية التي تُستقرأ من خلال مضامينها المتشعبة ، تطل علينا مجاهرات النتاج الشعري في منظومه الاموي وبمستوياته المختلفة ، والتي اسست لتخريج مجمل الصور الشعرية لتستلهم القاصي والداني من مظاهر المجتمع وظواهره اللغوية المنطوقة والصامتة ، ومنها حينما تبنى الشعراء ضمن موضوعاتهم تلك المحمولات ذات المؤدى الايمائي الصامت لترسيم صور ذات ابنية دلالية ديناميكية لنقل الأثر المترتب عن اللفظ الدال الى هيئة سلوك اشاري يرتبط معنوياً بالمضمون المراد لفت النظر اليه من قبل صاحب الخطاب او الباث للرسالة المشفرة ، حتى يكون النسق المعنوي حكراً على طرفي الرسالة دون الآخرين .

وبالتالي اصبح من الضروري طرح تساؤل حول طريقة عرض وتمييز جملة الابنية الشعرية الاموية التي تبنت اسلوب التواصل الصامت وطبيعة الاسلوب المتبع في ايصال الفحوى الخطابي للآخر ؟

وكطريقة للعرض والصياغة والتفسير تبنى الباحثان منهج البحث الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات والبيانات من المراجع والمصادر ذات العلاقة بموضوعة البحث المنتخب ، وستحاول هذه الورقة البحثية التطرق الى الاسلوب الخطابي او التواصلي الصامت والمقيد ضمن مفهومه التشفيري بين طرفي التحاور حصراً كمعطى اشاري معتمد ضمن الآليات الخطابية لمنظوم الشعري الاموي ، وذلك بالاعتماد على العنوان الوحيد في ادناه لتجنب التشعب ضمن عناوين فرعية غير ذات فائدة جوهرية للبحث :

2. مقاربات التواصل الصامت في الشعر الاموي :

انتجت قواسم الترسيم الدلالي للكائن العاقل شبكة من المعطيات الرمزية كانت الاساس في تبني منظومات التواصل وتفعيلها وربط خواصها الجوهرية بماهيات التبادل المعنوي التي تجري خلال البنية الثقافية للمجتمع الواحد ، على اساس ان تلك الشبكات المرمزة سواءً منها اللغوية الملفوظة أم السلوكية الصامتة اعطت – من خلال نتاجاتها الديناميكية المتوالدة والتي تعاقدت عليها مقومات البنى الفكرية لكل ثقافة على حدة – مقاربات موضوعية تمكنت من تفعيل الدلالة وتقويم ادائها المعنوي المتمفصل ضمن آليات

التواصل بمستوياته الفردية والجماعية ، وباختلاف ميكانزمات الاداء في كلا شقي المعطى التواصلي (اللغوي والصامت) وتباين الاسلوب المعلن لحل اشكالية ايصال الدلالة وانجلاء مفهومها ، على فرض ان لكل واحد منهما ما يميزه ويجليه عن الآخر وبالتالي فهو الاقرب من غيره في تقويم الاداء الاتصالي بين بني البشر ، الا انهما في الواقع مرتبطان ضمناً على حد قول الجاحظ في ان (الاشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وبعد فهل تعدو الاشارة ان تكون ذات صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها) (ابي عثمان الجاحظ ، 1998 ، ص78) ، لتظهر تجليات البعد الايمائي في احايين كثيرة مصاحبة لمكملات النسق الخطابي الذي يواكب أو يستتبع ميكانزمات التصريح النصي المعلن فتأخذ طابعاً ذي بعد تضايفي تلازم معه الافعال الادائية للنظام الصامت مقارباتها مع الابنية اللفظية الخاصة بكل موقف

فالسلوك التبليغي بين المشتركين في الخطاب يعد جانباً ضرورياً ومتمماً للتحليل اللغوي لخطاب المواجهة ، وهذا السلوك يضم جميع الحركات ذات المعنى المصاحبة للتكلم ، أو متواليات الحركات التي تحقق الوظائف التفاعلية في المواقف التبليغية المباشرة ، ويساعد في ربط الوظائف الخطابية بطرق مختلفة بالسمات السياقية او الموقفية لما وراء النص ، حيثما يكون السياق عبارة عن العلاقات الديناميكية التي تربط بين المشتركين في الخطاب ، بمعنى ان تلك الابنية الشكلية السلوكية توائم قنوات التفاعل الاتصالي وتتمم احالاتها العلامية اللغوية وتؤكدها وتكيفها ، كذلك فإنها تعطي افادات حول السياق الموقفي للرسالة التي يتجلى فيها التفاعل (محمد العبد ، 1994، ص198-201) ، وما يثبت ذلك هو حين الحديث وجه لوجه فلا يتحقق الامكان حينئذ إلا بتواجد اشارات فوق لغوية معينة ، فنحن نتكلم بأعضائنا الصوتية ولكننا نتحدث بأجسامنا ، فالحركات والايماءات تعتبر من الرسائل التي استعملت في الاتصال بين البشر ، فكل الثقافات لها انظمة دلالية عن طريق الحركات أو التواصل الصامت ، وترافق هذه الاخيرة اللغة او الكلام من اجل نقل بعض الرسائل ، وكذلك الامر بالنسبة للتعبيرات الوجهية أو الايماءات (فريد عكروت ، 2015، ص249) . بل والاكثر من ذلك فان معونة الاشارة في التطبيع المعنوي في احايين كثيرة قد تكون هي

الاقرب الى جلاء البعد المفاهيمي وتقريب التصور الى استحضار الدلالة ، لأنه من الممكن (ان تكون الجمل المتداولة في بعض الاحيان بدون معنى اذا ما قورنت بإشارات حركية تفوقها بلاغة بكثير) (ادوارد تي هول ، مصدر سابق ، ص 128) ، فكما أن التواصل اللفظي يُقرأ بحروف اللغة وكلماتها ؛ فان الجسد في تواصله الصامت كذلك يُقرأ من خلال التعابير والإيماءات التي يتخذها ، والتي تعكس ما يفكر أو يشعر به الانسان (سلاف شهاب الدين يعمور ، 2019 ، ص17) .

فبالرغم من ان اول اتصال للإنسان بالعالم الطبيعي كان غير لفظي أو صامت وبالرغم مما للعوامل غير اللفظية من دور في التواصل اذ تشترك فيه بنسبة تفوق 58% ، فان الاهتمام بالتواصل الصامت بوصفه موضوعاً حديث النشأة ، بُدء بدراسته ضمن المعتركات الانثروبولوجية بصورة نسقية وموسعة في بداية الخمسينات من القرن العشرين ، بعدها انكب المتخصصون بهذا النوع من التواصل بشكل جدي لدراسة وتحليل شفراته ، وتم التوصل الى خلاصة اتفق عليها هؤلاء مفادها ان الجزء الذي يعود الى غير اللفظي مركزي واساسي في علاقتنا مع الآخر (حسن الهلالي ، 2006 ، ص 69) ، فالتواصل الصامت هو نمط من الاتصال اكثر شيوعاً عند الاتصال المباشر أو ما يعرف بعلاقة الوجه بالوجه بين المرسل والمستقبل ، فما دام التواصل هو محاولة لنقل رسالة معينة من فرد الى آخر حتى ولو كانت عتاباً أو لوماً أو تخويفاً أو تهديداً ، فان كل ما يظهره المرسل للمستقبل من إشارات او ايماءات هي بدورها نمط من التواصل يحمل معاني معينة يراد ارسالها (نصيف فهمي منقريوس ، 2010 ، ص 12) ، وترجع اهمية اساليب التواصل الصامت أو (لغة الجسد) في عملية التفاعل بين فرد وآخر الى انها تصدر تلقائياً من الشخص وبصورة لا شعورية وغير متكلفة ، ومن ثم فان تلك الادائيات العضوية الناطقة تنفرد بصدقها وبطبيعتها كما في خصوصيتها ؛ ولذا فهي تكشف بوضوح عن مشاعر وانفعالات معينة ذات معنى محدد ودلالة متعارف عليها على مستوى الافراد والجماعات الذين تجمعهم ثقافة واحدة (مدحت محمد ابو النصر ، 2009 ، ص 97) ، فالترجمة السلوكية للأجزاء العضوية كافة ، أو لكل جزء منها هو تمثيل رمزي لاستعداد ما ، أو

لعاطفة ما ، أو لسلوك شامل ضمن التنظيم النفسي (جوزين ميسينجر ، 2007 ، ص11) .

فالذات العاقلة حينما تنحو منحاً سلوكياً في التعبير اللغوي أو الايماء الصامت انما تتبع تلك المخرجات التواصلية مجموعة من المؤثرات والضواغط الاجتماعية التي تقوم مقام المراقب والمانع لكل ما ليس له علاقة بالعقد الثقافي والاجتماعي الذي تبلورت ونشأت في وسطه شخصية المتكلم أو الباث للرسائل المشفرة ، ومن خلال النتاج الثقافي لمجموعة من الادائيات المادون لغوية تبلورت صيغة تداولية ترتبط بذلك المضمون الثقافي اسهمت في ارساء مقومات عدد لا يحصى من الملامح السلوكية ارتبطت بوجه خاص بالمضمون العاطفي لتشير بصورة مباشرة او غير مباشرة الى نوازع مبتغاها التأثير في الآخر ورسم الصورة الوجدانية المعبرة والحية في مستقبلاته ، وبالتالي الاعتماد على تلك المقاربات الصامتة في جذب الانتباه وتحفيز الشعور . ولعل مقتضى تلك الدلالات الحسية ذات البعد العاطفي هي ما تطمح اليه بنية الصورة الشعرية في حوارها مع الآخر ، فليس اذا من الغريب ان نجد تمثلات تلك الاداءات الصامتة ضمن النتاج الشعري وبالأخص ما الفناه منها ضمن مقامات وبيانات الشعر الاموي ، فشعراء ذلك العصر لم تغب عن منظوم ملكاتهم الشعرية قسمات التحاور المخفي بين طرفي الخطاب والتي كانت تسير جنباً الى جنب مع مقومات الصورة اللغوية الناطقة اذا لم تكن تفوقها في اعتماد التصريح والتبليغ ، وعليه فقد ظهر الكثير من منظوم هؤلاء الشعراء ممن حاولوا من خلاله استحضار تلك المفاهيم التواصلية وتعميق تصوراتها في اذهان المتلقين حتى يكون لصورهم الشعرية مكاناً اعمق في نفوس الآخرين ، وايضاً لجعل مآثرهم المنظومة تبتعد في شروعها التضميني عن اللغة المباشرة للحوار التي قد تشير الى المعنى المراد بصورة جوهرية لتنزاح نحو لغة الاشارة الصامتة لتعميق فحوى الدلالة وتحفيز مخيلة القارئ لاستحضار طرفي الموقف فيتملك ذلك المنظوم البنية التصورية للمستقبل ويكون الاقرب الى ذائقته ومخيلته .

وحينما نشرع ببيان المنطلقات الحسية التي اعتمدتها اللغة الصامتة في تشكيل وصياغة معانيها المبثوثة ، سوف تتجلى لنا اهمية الحاسة الباصرة (العين) في احتواء ذلك الكم الهائل

من تلك الاشارات واضفاء طابعاً تعبيرياً عليها واناطة كل مدلول مبطن شفراته التصريحية المخصوصة ، فتكون في هذه الحالة بديلاً تواصلياً معتمداً لتحقيق مكامن الخطاب لطرفه المباشر دون الباقين ، وحينما تتراءى لنا مثل تلك الصور الشعرية سوف تكون بمثابة المؤول لواحد من اهم طرق التواصل التي ابتكرتها المخيلة الانسانية في بحثها الدؤوب عن كل ما يشبع شغفها بإبراز المعنى المقصود باقل الملفوظات من جهة وبالحاجة الى التصريح المبطن من جهة ثانية للوثوب خلف الموانع القيمية والاخلاقية التي سنتها ثوابت البنية الاجتماعية ، وعدم المساس بها .

ومن بين ما قيل في مكاشفات اللغة الصامتة التي تبثها العين بانها باب القلب وهي المعبرة عن ضمائره والكاشفة لأسراره ، فهي ابلغ في ذلك من اللسان ، لان دلالتها عفوية بغير اختيار صاحبها (ابن قيم الجوزية ، 1431هـ ، ص146-147) ومن تلك البلاغة الصامتة استقى الكثير من شعراء العصر الاموي معانيهم المرسومة ضمن صورهم الشعرية كما قال في ذلك الشاعر (العرجي) (من السريع) : (ديوان العرجي ، 1998، ص189)

فَمَا استَطَاعَتْ غَيرَ أن أومَأتْ نَحْوِي بِعَينَي شَادِنٍ أدعَـجِ

فلم يستطع الآخر في هذا المجزوء الشعري الفكاك من اغلال المحيط القاهرة إلا بالتجرد عن لغة التواصل المسموعة والاستعاضة عنها بلغة الايماء او الاشارة بالحاسة الباصرة ، فكانت تلك اللغة الصامتة التي علت ذلك الجزء العضوي الساحر بمثابة التصريح المعلن بعمق الرابطة الشعورية التي جمعته بالشاعر ، فما بدا من الأخير إلا ان انشد يذعن بسطوة تلك العيون ذات السحنة المليحة وبلاغتها في التعبير وقوة شكيمتها في التواصل ، فليس بالإمكان الوثوب خلف تلك الموانع الاجتماعية والضواغط الاخلاقية للبيئة المسلمة إلا من خلال تبني مفهوم اللغة الصامتة ، والذي وظفه الشاعر من خلال الحدث المصور ليعيد ترجمة اجزاء الشفرة التي بثها الآخر في صمت ، ويلبسها رداءً معنوياً بصيغة تشبيهية اعطت لذلك المنظور الدلالي بعداً بلاغياً وجمالياً في الوقت نفسه .

وكما قيل فليس بعد لغة العين ما يوجب الافصاح عنه ولا التعريض به فهي تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد ، والحواس الاربع ابواب الى القلب ومنافذ نحو النفس ، والعين ابلغها

، واصحها دلالة ، وأوعاها عملاً ، وهي رائد النفس الصادق ، ودليلها الهادي ، ومرآتها المجلوّة التي بها تقف على الحقائق ، وتميّز الصفات ، وتفهم المحسوسات (علي بن حزم الاندلسي ، 2016،ص43) . وتصار اللغة الاشارية التي تنبعث من العين من منظور كونها مركز التصريح الصامت عن مكنونات النفس وما ينطبع من خلالها على مجمل السحنة الكلية للكائن العاقل ، الى بث خطاب نفسي مباشر يفصح عما يعتري خفايا العالم الداخلي للذات ، فهي وان لم تنطق انما هي تفصح وتبث رسائل واضحة عن غير المنطوق عنه وكما في قول الجاحظ : حالها في ذلك حال الاجسام الخرس الصامتة ، فهي ناطقة من جهة الدلالة ، ومُعرِبَة من جهة صحّة الشهادة ، على ان الذي فيها من التدبير والحِكمة ، مخبرٌ لمن استخبَرَه ، وناطقٌ لِمن استنطقه ، كما خبَّر الهُزَال وَكُسُوف اللون عن سوءِ الحال ، وكما ينطقُ السِّمنُ وحُسنُ النَّضْرة عن حسن الحال (ابي عثمان الجاحظ ، 1965،34) . ومن تلك الاشارات المادون لغوية الدالة على بنية الخطاب المعنوي الصريح بأداة الحس المباشر (العين) هي ما نقرئه في مجزوء الشاعر (مجنون ليلى) الذي صرح به قائلاً (من الطويل) (ديوان مجنون ليلى،1979،ص198) :

أشارت بِعَينَيهَا مَخَافَةَ أهلِهَـــــا إشَارَةَ مَحزُونٍ بِغَيرِ تَكَلُّـــــمِ
فَأيقَنتُ أنَّ الطَرفَ قَد قَالَ مَرحَبًا وَأهْلاً وَسَهلاً بِالحَبِيبِ المتَيَّمِ

فقانون الخطاب الذي يتحقق بين طرفي التحاور يتطلب الجهر برسالة مبثوثة تعين الطرف الآخر (المتلقي للرسالة) من فك شفرات المعنى المنطوق لضمان دوام حلقة التبادل الحواري التداولي المحقق للمعنى ، أما اذا كان الحوار اشارياً او تلميحياً صامتاً فتلك مظاهر جديدة يترتب عليها مقومات معنوية غاية في الدقة لتعمق جسور التواصل المعنوي حتى ليصبح في مرحلة ما وكأنه حديث تخاطري خارج عن قدرة وامكانية الحواس ينتقل لا عبر الجسور والممرات الحسية بل عبر القنوات المافوق حسية او المرتبطة مباشرة بالإحالات الروحية ليتلاءم مع حيثيات المستويات النفسية المتقدمة ، فتلك المعطيات ليس بالضرورة ان تتحقق في ظل رؤى فسلجيه متقاربة تسلك في انتقالها عبر الاطراف المتخاطبة طرقاً غير ذات واسطة مباشرة او لغوية إلا في حال كانت هناك مقومات وروابط نفسية متينة تؤسس

لدخول المفاهيم الروحية تلك ضمن عمليات التواصل ، وهو ما حصل فعلاً في الموقف الذي رسمت صورته الشعرية مجزوئة الشاعر مجنون ليلى التي بينت عمق الأثر المعنوي او المافوق حسي الذي حملته البنية الداخلية لكل من الباث والمستلم للإشارة التلميحية الصامتة ، وعليه فان قراءة لغة الطرْف كانت بمثابة واسطة روحية تجاوزت مديات المعاني المسموعة او اللغوية حتى تعطي ذلك التصور المباشر لدى الشاعر ، وكأنه قرأ ما مكتوب على صفحات البنية الروحية للآخر .

وليست تلك الصور المافوق حسية هي فقط واسطة لتزويق ولتعميق النتاج المنظوم واضفاء مسحة جمالية عليه ، انما ليستطيع الشاعر من خلال ذلك المعنى التداولي الصامت من ان يقرب صور المعاناة النفسية التي يتكبدها اطراف التوله في ظل الضغط الذي تفرضه تلك المنظومة الاجتماعية الصارمة في رفضها مثل هكذا مقاربات هي بعيدة في مضمونها عن تعاليم الشارع المقدس ، فكل ما هو مخالف سواءً للتقاليد العقائدية ، او للأعراف الوضعية الاجتماعية انما يتخذ الخطاب الصامت مسلكاً حوارياً يستعيض به وعن طريقه من تداوليات اللغة المسموعة للابتعاد عن الآثار السلبية المترتبة على التصريح بالمعنى المباشر للآخر ، مع اختلاف القناة الاشارية المتبعة في عمليات التواصل تلك .

فمقتضيات التورية ومحاولات الوثوب خلف الممنوعات اعطت للنتاج الشعري مرعا خصباً يتوافق في مضمونه مع ما ترمي اليه خوالج المكنون النفسي للشعراء على اساس استحصال مقومات كل موقف سواء اكان واقعا ام متخيلا وربطه بالسلوك الاشاري المموه لتحقيق صورة ناطقة مضموناً صامتة شكلاً وقد تعددت الصور المنتجة في هذا الجانب حتى اصبح البعض منها يوازي في مضمونه مفهوم (المنولوج الداخلي) الذي يستكين فيه الشاعر الى نفسه كطرف في الحوار الدائر بينه وبينها ، فيعرض عليها ما يجول في خاطره وما يعتريه من ثقل المشاعر المسكوت عنها ، والى صور المحفزات المكانية التي تتدفق حاملة شحنات عاطفية تثير مكامن الشعور لديه كونها ترتبط بشكل أو بآخر بالشريك ، وما يزيد تلك المحفزات ثقلاً على النفس هو انها تبتعد في مدياتها التعالقية عن المنظور العقائدي والاجتماعي ، بل وتتقاطع مع مقوماتهما الاخلاقية ، وعليه فان ما يدور في دواخل الشاعر

وما يعتليه من رغبات ونوازع يبقى طي الكتمان ومتقاطع في جوانبه التواصلية مع اي دلالة لغوية مباشرة كونها حاملة لمظاهر وممارسات هي ابعد ما تكون عن مظاهر العرف ومقوماته الحاكمة ، وبرغم اثارها الثقيلة فان آلية الافصاح لا تتعدى بضعة ملامح اشارية بسيطة بالعيون تستنطق مكنونات المكان وتحاورها مبررة الظروف والضواغط التي منعتها من التواصل المباشر ، كما في قول الشاعر (الحسين بن مطير الاسدي) وهو يحاور مرموزات المكان الحامل للمعنى (من الطويل) : (شعر الحسين بن مطير الاسدي ، د.ت ، ص152)

سَلامٌ عَلَى البَيتِ الذِي لا نَزُورُهُ مِنَ الخَوفِ إلاَّ بِالعُيُونِ اللَّوَامِحِ
وَلَولاَ حَذَارُ الكَاشِحِينَ لَقَادَنِـــي إلَيهِ الهَوَى قُودَ الجَنِيبِ المسَامِ -ح

فليس للمنظور السلوكي الصامت الذي عول عليه الشاعر في ترسيم صورته الشعرية ضمن مجزوئه الحاضر وتوثيق معوقاته الموضوعية ، الا ملمحاً خفياً لا يكاد يداوي مرارة الرغبات المقبورة والاغتراب المتفاقم في اعماق النفس ، كما يستغاث من اضناه العطش بقطرة ماء لا تكاد ترطب ما تقع عليه ، ففي هذا المقطع الشعري ومن خلال بلاغة تلك الصورة التي اظهرتها دواله المقفاة يستطيع المتلقي من مجانبة الشاعر في محنته النفسية ، والوقوف على مدى الثقل الاجتماعي والوجداني الجاثمين على حواسه وكيانه ، وفي بحثه عن منفذ صغير لانعاش مقومات الامل في داخله واعطاء موازين الشد والجذب ماهيتها المتكافأة وعدم غلق منافذ الرجاء حتى لا تنقطع اوصال الطموح في تحقيق المرجو ، يعمد الشاعر الى تضييق مساحة تلك المعوقات وسبقها بأداة تمني ليصبح بالإمكان توليد دلالات ضمنية تواسي مرارة الحسرة والحرمان القابعين في تلافيف وجدانه ، فالماهية التي شكلت نمط التواصل الصامت ضمن المثال الشعري الحاضر لم تخرج عن جوهر الصيرورة الاتصالية سوى في المعطى الخاص الذي اتبعه الناظم رغبة منه في استحصال قيمة دلالية مميزة ترتقي بتجربته الشعرية اولا ، ومن ثم بتجربته الشعورية – والتي يصبوا من خلالها الى الابقاء على دعائم المودة قائمة بالرغم من تسلط القوة الرادعة للنيل منها وتفكيكها- الى ابدال قيمة النظام او النمط المعلن بآخر يختبئ خلف استار الحيطة والحذر من ردود افعال

مجمع الشواهد سواء منهم القريب او البعيد ، وعليه فقد شكلت تلك المقاربات الدلالية والتي توافقت في مفهومها العام مع سجالات النظم الغزلي ، وفي ترسيمها البياني الخاص اعطت مضموناً يعتلي بالقيمة الوجدانية الى ادوار استقرائية خاصة تفردت بها الرؤية المعنوية التي اعطت للمنظومة الاجتماعية المسلمة قيمتها المتفردة في رفضها لكل ما يمكن ان يسبب شرخا في بنيتها الاخلاقية والسلوكية .

فظهور ذلك الطراز التعبيري بصيغته التواصلية الصامتة هو في الواقع التفاته شعرية متقنة تعيد صياغة وتركيب المفاهيم الوجدانية بعيدا عن متداولاتها التي يجهر بها طرفي التعالق مباشرة كما في المنظومات الغزلية الشائعة ، وذلك باقتصارها على ملامح محدودة رامزة تكاد لا ترى ولا تفهم الا فيمن تعلقت بهم ، في الوقت الذي تهيمن فيه القيم والمبادئ الحضورية للدائرة المجتمعية ممثلة بالزمر المحايثة للمشهد المكملة للصورة الشعرية والمهيمنة على معطياتها ذات التوجه العاطفي ، فتعمد تلك الرغبات بالتواري والاختباء خلف ملامح قد لا تعد عند البعض سوى طرفات خاطفة غير مقصودة تتركها جوارح العامة في تعاملاتها وتواصلاتها الواقعية اليومية .

والظاهر ان هذا النوع من التواصل بصيغته الصامتة قد اثار قريحة الكثير من شعراء ذلك العصر فعمدوا الى ترسيم وقائعهم وتطويعها لتأخذ هذا اللون من الوان المعطى التعبيري رغبة منهم في اكساب نتاجاتهم شيئاً يخرج بها عن دائرة التواصل الصريح الباث لأشكال الصور الحسية والعاطفية بطريق الخطاب المعلن ، والصيرورة نحو تجريد تلك الصور واكسابها طابعاً رمزياً يستنطق سليقة القارئ ويجعلها تسبر اغوار السلوك المبهم وتتلذذ بفك شفراته ومقارعة خطواته ودقائقه ، ومن هؤلاء الناظمين ممن اتخذ ذلك الاسلوب التواصلي كظاهرة تأويلية للوصول الى مكامن ورغبات المضمون الحسي والعاطفي هو الشاعر (قيس بن الملوح او مجنون ليلى) في قوله (من الطويل) : (ديوان مجنون ليلى،1979،ص68)

إذا نَظَرَتْ نَحوِي تَكَلَّمَ طَرفُهَـ ـــــا وَجاوَبها طَرْفِي وَنَحنُ سُ ــكُوتُ

فَوَاحِدَةٌ مِنهَا تُبَشِرُ بِاللَّقـــ ـــــا وَأُخرَى لَهَا نَفسِي تَكادُ تَموتُ

إذا مِتُّ خَوفَ اليَأسِ أحيَانِي الرَّجَا فَكَم مَرَّةٍ مِتُّ ثُمَّ حَيِيـ ـــــتُ

فلغة التصريح الاستعاري التي جهر بها الناظم في مجزوئه المقفى الحاضر هي نسق ايصالي او تحليلي لما دار بينه وبين الآخر المحايث للشعور من علامات اشارية حملتها الاطراف او الاجزاء المادية للحس الباصر كانت تستثير المضمون العاطفي لكليهما ، فلولا تلك المعطيات الايضاحية بصيغتها التواصلية الصامتة لما استدرك المتلقي مقومات او عمق الرابطة الشعورية التي جمعت طرفي التوله ، فمسرح التعبير الصامت لم يستكين اليه الناظم الا ليكون ترميزا يتخطى مفردات المحيط المستهجن لمثل هكذا ممارسات عاطفية مرفوضة ضمن منطقي العرف والشرع خوفا من الوقوع في الشبهة والمحذور .

واذا حاولنا صياغة مضمون رمزي يستأثر بمقومات الصورة التشبيبية بصيغتها المثلى سنجد ان مجموع الدوال التي استعارها الناظم في صياغة مقطوعته المقفاة هي في الواقع بنية متكاملة من المعاني التي خلفتها تلك الملامح الحسية على بساطتها ومحدوديتها ، فكل ما له صلة بالنوازع والرغبات والقيم الشعورية المتكدسة في اعماق النفس نجده قد وجد له منفذاً للجهر والتصريح من خلال لمحات حسية متبادلة اصبحت فيما بعد لغة تصريحية تنطق بلهج عما ترجمته المنظومة السلوكية التعبيرية لطرفي التعالق .

وليس ببعيد ما ذهب اليه الناظم (ذو الرُمة) حينما استعار تلك الآلية الخطابية في التعبير والتحاور وانتج من معطياتها السلوكية البعيدة عن التصريح اللفظي ملمحاً فنياً غزلياً يراد به اكساب مرموزات التورية بعداً جمالياً من خلال ربطه بالمنظومة الشعرية ، فانتج مقترباً بيانياً يحمل صورة فنية اخذت على عاتقها تمثيل البعدين النفسي والموضوعي داخل نظمها في قوله (من الطويل) : (ديوان ذي الرمة ، 1982، ص832)

وَلَم يَستَطِعْ إلفٌ لإلفٍ تَحِيَّةً   مِنَ النَاسِ إلّا أن يُسلِّمَ حاجِبُهْ

فمسألة التأكيد وبأكثر من شاهد على استحضار الحاسة الباصرة او ما الحق بها هنا وهو (الحاجب) وترسيم صورة بلاغية ذات اثر دلالي يغني عن التصريح اللساني ، لهي خير دليل على القوة المعنوية والوجدانية التي يحملها ذلك العضو مع ملحقاته التشريحية من مرايا عاكسة للغة الشعور ومرامي النفس (فعندما تكون النظرة كياناً تشريحياً مستقلاً بذاته تفصح تعابيرها عن مشاعر يمكن ترجمتها بالكلمات .. فالعين من بين جميع الاعضاء المرتبطة

بالكائن هي اشد مرايا النفس بلاغة من غير لبس ممكن .. وهي الصورة المستديمة للانعكاس الداخلي الذي يسود في شعور الفرد .. وبالمقابل فان الحاجبان هما موضع التركيز على انفعالاتنا والاخبار عن مجموعة من الدلائل التي يمكن ان تفهم فهما تاماً من دون مفردات كلامية .. فالحاجبان هما لغة الوجه البصرية) (جوزيف ميسينجر ، مصدر سابق ، ص285-263) ، فالصيرورة البلاغية ضمن النظم الاموي بالخصوص نحو تلك الاجزاء الحسية ، وايلائها ذلك الحضور المؤثر ضمن اللغة الصامتة المعبرة والمرسلة لشفرات التناغم الشعوري بين طرفي التوله لم تأتي عن فراغ ، انما كان للخبرة الذاتية المكتسبة للشاعر من خلال تحولات المحيط الانساني ولغاته التعبيرية دوراً متفرداً في عملية تبني اللغة الصامتة لهذه الاعضاء واكسابها طابعاً معنوياً ذي مفهوم وجودي جوهري . إلا ان تلك المؤثرات الشعورية لم يتسنى لها ضمن المحيط المجتمعي الاسلامي تلك الفسحة التواصلية التي كانت مهيئة لها ضمن الحقبة الجاهلية مثلا ، عليه فان لغة التواصل السلوكي الصامت كانت بمثابة الخيار الامثل للوثوب خلف ضواغط و موانع الدائرة المجتمعية تلك ، للحفاظ على حبال المودة قائمة وبأبسط صورها بعيداً عن تصيد الرقباء وتسلطهم .

وفي تصريح بلاغي مقفى آخر يتبنى لغة الجسد وسلوكه الحركي الصامت يطل علينا الشاعر (أبي دهبل الجمحي) بقوله (من مجزوء الوافر) : (ديوان ابي دهبل الجمحي ، 1972، ص74)

ألا هَل هَاجَكَ الأضعَان إذ جَاوَزنَّ مَطلَحَـ ـــــا

------------ - -----------

تَبِعتُهُم بِطَرَفِ العيـ ـــــن حَتَى قِيلَ لِي إفتَضَحَا

اذ لم يتسنى للشاعر في هذا المجزوء البت او التصريح اللفظي عما ألمَّ به وهو يرمق الرحل المبجل يجرد عن الانظار ولا يتطاول على متابعته والافصاح عن لواعجه او اللحاق به خوفاً من الافتضاح إلا برمقٍ خفي يعتلي طرف باصرته ، فتلك بالتأكيد واقعة درامية لا تفتأ تقوض اركان الشعور وتضيق عليه الاسباب ، وعلى الرغم من انها بالكاد تكاد تسمع او يحس انينها إلا ان الموصلات السلوكية الصامتة تمكنت من محايثتها لوجدان المتلقي

ليتشارك جو اللوعة مع الناظم عبر مطالعته لتلك الصورة وقراءة وقائعها الصامتة ، فالإفصاح عن مرارة الموقف وثقله على كينونة الشاعر لم يتعدى سوى مرموزات سلوكية احاطها الصمت وحاصرتها مفروضات المحيط وضواغطه ، وبالنتيجة فان وضوح الرؤية وبيان المضمر من القول عبر ادوات التواصل السلوكي قد افاضت على مجمل الموقف المتحقق بكيفيات بلاغية اطّرت النتاج الشعري وصعّدت من مكامن المعطى الشعوري حتى انبلجت عنه اشارات وعلامات اكثر تعبيراً وتأثيراً بالمتلقي مما لو وافقت المجرى المعتمد في الاباحة والتباكي النصي المباشر على الاطلال وتصرم الضعن .

ومن وجهة حركية مقاربة تتصل هي الاخرى بفعل التواصل السلوكي المفارق لمجريات الخطاب اللغوي المعلن يرسم لنا الشاعر (عمر بن ابي ربيعة) صورة رومانسية محفوفة بالمخاطر في قوله (من البسيط) : (ديوان عمر بن ابي ربيعة ، 1996 ، ص135-136)

قُل لِلمَلِيحَةِ قَد أبْلَتنِيَ الذِّكــ ـــــــرُ فَالدَّمْعُ كُلَّ صَبَاحٍ فِيكَ يَبتَدِرُ

فَجِئتُ أمشِي وَلَمْ يُغْفِ الأولَى سَـمَروا وَصَاحِبِي هِنْدُوَانِيٌّ بِهِ أثَــــــرُ

فَلَمْ يَرُعهَا وَقَدْ نَضَت مَجَاسِدَهَــــا إلّاَ سَوَادٌ وَرَاءَ البَيتِ يَسْتَتِـــرُ

فَلَطَمَت وَجْهَهَا وَاستَبْبَهَتْ مَعَهَـــا بَيضَاءُ آنِسَةٌ مِن شَأنِهَا الخَفـَرُ

فالمنظور السردي لتلك الصورة المنقولة بهيئة منظوم مقفى على لسان الشاعر ترسم مظهر فعله حينما (مر ليلاً ولم يكن المتسامرون المحيطون بالشريك قد ناموا بعد ، دافعاً به وجده لرؤية الآخر المحايث للشعور والذي امضى ولعه في فؤاده كالسيف الهندي القاطع الذي لا يرحم اعدائه ، فيما وصل حد التقرب والصبابة بينهم انها كانت لا تستحي منه وهي المعروفة بالحياء بين اقرانها وفي جنح الليل من ان تتجرد عن آخر قطعة من اللباس الذي يغطي جسدها ، إلا ان ظروف وملابسات الموقف والمكان الذي كان يغص بالرواصد والمتسامرين أثار حفيظتها فعمدت للطم وجهها كدلالة على الخوف من الفضيحة ، وكرسالة سلوكية مرمزة للآخر بان يبتعد ويتوجس من الحاضرين ، فهم لا يعرفون شيئاً مما

يدور بينهما) ، فعلى الرغم من الترسيم الفاضح والذي لا ينم إلا عن سلوك اخلاقي عابث وبعيد عن ابسط مقومات ومظاهر الشارع المسلم ، إلا أن معطيات المفهوم العام الذي دفعنا للاستعانة به وتقديمه كشاهد هو اللمحة السلوكية اللاإرادية التي ارتسمت على اعضاء الآخر ودفعته لمثل هكذا ردة فعل تنم عن هول ووقع الموقف على كيانه واعضاءه وموافقتها لإيقاع الاذى الجسدي في سبيل اعطاء دافع معنوي وسلوكي صامت وفي المقابل واضح ومباشر ولا يقبل التأويل بضرورة وحتمية الابتعاد عن ذلك المكان يُثري عن الكثير من عبارات التحذير والوعيد التي ستنعكس في حال الجهر بها سلباً على كلا الطرفين . فمثل هكذا ردات فعل آنية بعيدة عن التصريح والجهر لهي خير دليل على الأهمية الجوهرية التي يمثلها مثل هذا السلوك الصامت في كثير من المواقف الحياتية ممن تتطلب التحجيم لأطراف الحوار وجعلها مقتصرة على طرفي الرسالة ، فلا يستطيع فهمها او فك شفرتها سوى قطبيها من الباث والمستلم لها .

وفي شاهد ثان للشاعر نفسه (عمر بن ابي ربيعة) يتبع فيه مجرى السياق الإشاري الصامت ليؤكد مرة اخرى على ضمنية هذه المعطيات الحسية واهميتها التعبيرية في ايصال المشاعر واظهار صورة حسية ذات مصاديق تترجم عمق النوازع الداخلية والوجدانية ، فيقول (من الكامل) : (ديوان عمر بن ابي ربيعة ، مصدر سابق ، ص282)

سَلَّمْتُ حِينَ لَقِيتُهَا ، فَتَهَلَّلَتْ لِتَحِيَّتِي ، لَمَّا رَأَتْنِي مُقبِ ـــــلا

فهو بهذا الوصف السلوكي لمحيّا الشريك يبرهن للمتلقي مرة اخرى المكانة التي يمثلها في نفوس هؤلاء النسوة ، وبالنتيجة فان تلك الصورة الحسية رسمت وبصورة مباشرة وآنية مقتربات الحيز الشعوري وبجلاء تام ، ومثل تلك المردودات المعتبرة لهكذا مواقف تظهر جلياً قيمة التصورات الكلية التي تنتقل مباشرة عبر قناة التواصل السلوكي الصامت .

وقد ميزت الفيلسوفة (سوزان لانجر) تلك القناة التواصلية عن مقابلاتها من اللغة اللفظية ، إذ اوضحت ان هناك فرقاً بين اللغة اللفظية والوسائل غير اللفظية او الصامتة من حيث الطريقة التي تتم بها فهم المعاني التي تتضمنها كل منهما ، فاللغة اللفظية تستند اساساً على الرموز ، والتي يطلق عليها رموز التتابع او التوالي ، فطريقة الفهم وكما هو

متعارف لمعاني هذه اللغة تقوم على قراءة الفرد لألفاظ الجملة الواحدة بالتتابع ، تبعاً لترتيب كتابتها ونطقها وحسب قواعد اللغة ، بينما ترى ان الوسائل الصامتة الغير لفظية يتم انتقال معانيها الى الافراد وبالدرجة الاساس استناداً الى عرض الوسيلة ككل ، وبالتالي فان ادراك الفرد يتم بطريقة كلية في بادئ الامر ، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة التفصيل وتمييز الاجزاء الدقيقة في الموقف وربطها بالكل ، اي اننا لا نقوم بعملية تسلسل للانتقال من جزء الى آخر ، بغرض فهم معاني تلك الاجزاء او العناصر ، وانما تتم عملية الفهم عن طريق ادراك الكليات داخل اطار متكامل للوسيلة ، وقد وجدت ان هذه الطريقة تستند الى نوع معين من الرموز اطلقت عليه رموز العرض ، وفيه يعتمد عرض الجزء على انه يدخل في عرض متكامل غير مجزأ ، وهذا العرض هو عرض فوري يتم في لحظة واحدة (نوال محمد عطية ، 1995 ، ص 58) ، فرموز العرض او الوسيلة الاتصالية في واقعها الصامت تختلف في كونها آنية الادراك وسريعة التأثير ، في حين تتسلسل رموز التتابع اللغوي كمفهوم متكامل مع انتهاء طرحها او التصريح بها للآخر ، عليه فان الوسيلة التعبيرية الغير لغوية هي الاكثر تماساً ومحايثة مع خوالج الوجدان ، بل والاسرع في الوصول لنقل القيمة المعنوية بكامل مخرجاتها التعبيرية الى مكامن الشعور ، وعليه فطبيعة التأثير وتفعيل التعالق الادراكي هي من مفاضلات تلك اللغة المرئية ذات السلوك الآني والمباشر ، وهو ما دعى شعراء تلك الحقبة الى الاستعانة بمضامينها وصورها الفنية رغبة منهم في اثراء منظوماتهم الغزلية ودعم معطياتها الشعورية للإسهام في خلق مؤثرات معنوية جديدة في القارئ بإبعاده عن مقاربات التصريح المعنوي المباشر في مثل هكذا انماط تعبيرية ، وايضاً من باب (حاجة الفرد الى اكثر من لغة في التعبير عن نفسه ، ومن هنا كانت اللغة غير اللفظية او الصامتة ذات اهمية كبرى في حياة الفرد عامة ، والتي لا تقل اهمية عن اللغة اللفظية ، فكلها انواع من التعبير بالنسبة الى الانسانية جمعاء.. فالإنسان يولد مزوداً بقدرة على التعبير عن افكاره ومشاعره باسلوب رمزي معين ، كأن يكون لغة أو فعلاً سلوكياً معيناً) (نوال محمد عطية ، المصدر السابق ، ص59و47) . وكل تلك الانساق التعبيرية سخرها الشعراء كي تكون ادواتهم الفاعلة في التصريح عن مضامينهم ذات النسق الخطابي المؤثر وبصورة جوهرية في ذات المتلقي .

وفي تجربة خطابية اخرى تكشف عن محمول نصي يستدعي تبعات الصورة السلوكية الصامتة والتي ابدلها الشاعر بلواعج ودلالات الحسرة والندم في نسيج مفرداتها اللغوية ، لينوب عنها بإشارة احالت معطيات التجربة الشعورية الصادمة الى مشهد اكثر تعبيرا وتوثيقا لإفرازات اللحظة المشبوبة بالحزن والندم ، فجعل الشاعر (يزيد بن الطثرية) مشهد السلوك المعزز للنفس مرئياً لا مسموعاً في بيان قوله (من الوافر) : (حاتم صالح الضامن ، 1999 ، ص16)

أيَا حَزَنَاً وَعَاوَدَنِي وَدَاعِـــــي وَكَانَ فِرَاقُ لُبنَى كَالخِـــــدَاعِ

تَكَنَّفَنِي الوُشَاةُ فَأزعَجُونِـــي فَيَا للهِ لِلوَاشِي المطَـــــاعِ

فَأصبَحتُ الغَدَاةَ أَلُومُ نَفسِي عَلَى شَيءٍ وَلَيسَ بِمُستَطَاعِ

كَمَغْبُونٍ يَعَضُّ عَلَى يَدَيـــهِ تَبَيَّنَ غُبنَهُ بَعدَ البَيَـــــاعِ

فصب لجام يأسه وحسرته على يده يعنفها إثر تبعات الاغتراب النفسي المضطرب الذي خلّفه فراق الشريك ، بعد ان عجزت العبارات والمراثي والمناحب من تهدئة خوالج النفس ولواعجها المضطربة ، فأضحت الصورة التعنيفية بصيغتها المعبرة الصامتة هي السبيل الوحيد الذي يعزي فيها الشاعر نفسه ويحملها تبعات ما آلت اليه حاله وهو يعاني مرارة الفراق وتسلط براثن الوشاة عليه ، فالموقف برمته يصور ضائقة نفسية كبيرة احاطتها بيئة خانقة برفضها لمثل هكذا سلوك ، لا يستطيع معها الشاعر سوى التقريح بذاته وتعنيف اعضائه بعيدا عن أي منطوق لغوي قد يستثير الشواهد ويؤلب المحيط ضده ، كونه في تلك الحالة سيصرح بما هو غير مقبول لفظاً وسلوكاً .

وفي الوقت الذي اشارت فيه التعاقبات السلوكية الصامتة ، والمتكررة بجانبها السلبي ضمن الشواهد الشعرية السابقة لشعراء الغزل الامويين ، وباشتراك ثلة من الروامز الحسية ، انكشفت لنا من بين ركام ذلك المجرى المتلازم الذي اثقلته ضواغط البعدين الاجتماعي والعقائدي ، والذي استكان الى ترسيخ مبدأ التواصل الصامت المثقل باعباء الخوف والترقب تارة والانكسار والغربة والالم تارة اخرى ، ابعاداً تأويلية جديدة تجلت لنا في المجزوء الحاضر ضمن مظهر آخر من معطيات التواصل السلوكي الصامت وبحلة جديدة تقارب

في مضمونها المعلن مساراً يبعث على التفاؤل ويبني علائق الوصال الملامس لغايات ونوازع الامل ، وكأن الصورة التي رسمها الشاعر في مقفاه المفرد حتى وان أُخفيت ابنيتها المعلنة على شواهد المحيط ، إنما اَعلنت استرسالها وتمسكها بمواطن التبادل المعنوي المشترك والذي لاينفتيء يتنفس روح الحياة وعبق الحنين الى الآخر بلا حاجات مفرطة ومكابدات مضنية والاكتفاء باشارةٍ بطرف اللامسة يعقبها رد فعل مباشر نابع من عفوية تمتد ايعازاتها الى بواطن النفس وخفايا الروح ، فحتى وان كانت تلك الاشارات البسيطة تنم عن تسلط فعل المتربصين ، إلا انها وفي الوقت نفسه اسست لظهور طابع ذي مسحة عاطفية شفافة وغير مبالية بتحجيم الضواغط سوى من ناحية المظهر المعلن فحسب ، انما في الواقع اخفت تلك المبادرات السلوكية الغير منطوقة قوة وشكيمة طرفي التوله وعمق الرابطة التي تجمعهم . وكل ذلك يمكن قراءة ملامحه التعبيرية والدلالية من خلال تصريح الشاعر (عمر بن ابي ربيعة) حينما قال (من الطويل) : (ديوان عمر بن ابي ربيعة ، مصدر سابق ، ص359)

أَشَارَتْ إِلَيْنَا بِالبَنَانِ تَحِيَّةً ، فَرَدَّ عَلَيهَا مِثلَ ذَلِكَ بَنَـانُ

فليست الاشارة البسيطة والتي لا تكاد تلمح من المحيط او يستدل بها على فعل شائن او خارج عن دائرة الإلتزام الاخلاقي والسلوكي الا من جهة طرفي الرسالة سوى التزام واصرار على ادامة دعائم تلك الحبائل والحؤول دون انجذامها برغم الممارسات ذات الطابع الرافض والماقت لها ، وكل تلك الدلالات اللغوية ذات البعد الوجداني نجدها قد استثيرت للمتلقي جراء تلك الصورة السلوكية الصامتة على بساطتها

3. الخاتمة :

من خلال النظرة العامة الى مجمل الصياغة النظرية لموضوعة البحث الحالي ومحاولة سبر اغوار المقتربات البيانية والبلاغية لهذا النوع من انواع التواصل الصامت ضمن النتاج الشعري الغزلي للعصر الاموي نستطيع ان نستشف جملة من النتائج المهمة التي استطعنا الوصول اليها والتي تمثل المعترك الدلالي الذي رافق ظهور هذا الغرض الشعري وهي :

- اتصل الفعل المادون لغوي او السلوكي الصامت بصورة جوهرية بالميل نحو تحقيق او ترجمة النوازع النفسية وخلجاتها ذات البعد العاطفي ، واعطائها مسحة روحية بعد ان

تجاوزت لغة التواصل مفرداتها التصريحية الرامزة المعهودة الى معطيات اشارية حاملة لصيغة تواصلية وتعبيرية جديدة .

- حققت مقتربات شعراء او ناظمي العصر الاموي ضمن اغراضهم الغزلية بعداً دلالياً ومعنوياً جديداً باعتمادها الصيغة الاشارية دون اللفظية لإنتاج تشخيصات صورية ذات توجه مختلف تبتعد في اساليبها الحاضرة عما هو مألوف ضمن مقتربات البلاغة الغزلية ، كي تكشف اولاً عن النظم الاجتماعية الصارمة التي فرضها الدين الاسلامي الحنيف بنبذه لكل اشكال التصريح بما يخل بأعراف وتقاليد الشارع المسلم ، وثانياً لتشكيل صورة بيانية وبلاغية تعتمد طرقاً جديدة في التواصل بين طرفي الحوار لتدعيمها احالات تجذب ذائقة المتلقي الباحث عن كل ما هو جديد ضمن النتاج الفني والادبي .
- شكلت الاحالات الحضورية للحاسة الباصرة الثقل الاكبر في الترسيم البياني والبلاغي المقفى الذي صيغت معانيه وتصريحاته الدالة ضمن اشعار معظم معتنقي هذا الاسلوب الغزلي في الشعر ،كدلالة على اهمية واولوية ذلك العضو في ايصال المعاني المحمولة وقدرته في ايضاح الدلالة وسرعة ايصالها الى الآخر .
- بينت مجمل الشواهد الشعرية التي انتهجت الاسلوب التواصلي الصامت ضمن النظم الغزلي للعصر الاموي عن جملة من التأثيرات والضواغط النفسية التي كان شعراء ذلك العصر يعانون منها كنتيجة لظهور واستمكان التعاليم والاصول الاسلامية في بنية المجتمع آنذاك ، وبالتالي رفضها لكل اشكال التلويح أو التصريح بهتك الستر او الوقوع في الشبهة والمحرم ، لذا كان لزاماً التعاطي مع تلك القيم الجديدة ، مما شكل عائقاً نفسياً واخلاقياً يحول بين طرفي التوله انعكس في مضمونه على صورة النتاج الغزلي بطابعه المتوجس والحذر والمشبع بالألم .
- لم يكن لتبني الاسلوب التواصلي الصامت في اشعار ناظمي العصر الاموي معطاً جوهرياً ووحيدا يتجلى في الوثوب خلف الموانع والحواجز الاجتماعية والعقائدية التي كانت بمثابة السمة الظاهرة في تجليات ذلك العصر ، انما كان لميزات ذلك النوع من الاسلوب التواصلي سبباً آخر في ظهور ذلك النتاج الشعري ،كون آليات ذلك

التواصل هي الاكثر تأثيراً والاسرع وصولا الى البنية المفاهيمية والوجدانية للآخر كما للمتلقي ، وهو ما حفز على ظهور وانتشار شواهد هذه التجربة الشعرية وعلى نطاق واسع .

4. قائمة الإحالات:

المؤلفات :

- ابن قيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، تحقيق : محمد عزيز شمس ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، 1431هـ .
- ابي عثمان الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ج 1 ، ط 7 ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998 .
- ابي عثمان الجاحظ : كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ج 1 ، ط 2 ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، 1965 .
- ادوارد تي . هول : اللغة الصامتة ، ت: لميس فؤاد اليحيى ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان- الاردن ، 2007
- جوزيف ميسينجر : لغة الجسد النفسية ، ت: محمد عبد الكريم ابراهيم ، دار علاء الدين للنشر ، سوريا- دمشق ، 2007 .
- حاتم صالح الضامن : المستدرك على دواوين الشعراء ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان ، 1999.
- ديوان ابي دهبل الجمحي : رواية : ابي عمر والشيباني ، تحقيق : عبد العظيم عبد المحسن ، مطبعة القضاء في النجف الاشرف ، 1972 .
- ديوان العرجي : تح : سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .
- ديوان ذي الرُمة : شرح : الامام ابي نصر الاصمعي ، حققه وعلق عليه : عبد القدوس ابو صالح ، ج2 ، ط2 ، مؤسسة الايمان ، بيروت- لبنان ، 1982 .
- ديوان عمر بن ابي ربيعة : تقديم : فايز محمد ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1996 .
- ديوان مجنون ليلى : جمع وتحقيق : عبد الستار احمد فراج ، مكتبة مصر للطباعة ، مصر ، 1979.
- شعر الحسين بن مطير الاسدي : جمعه وقدم له : حسين عطوان ، مصر ، د.ت .

- علي بن حزم الاندلسي : طوق الحمامة في الالفة وأُلألآف ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2016
- فردينان دي سوسير : دروس في الالسنية العامة ، تعريب: صالح الفرمادي وآخران ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1985 .
- محمد العبد : المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994 .
- مدحت محمد ابو النصر : مهارات الاتصال الفعال مع الآخرين ، المجموعة العربية للتدريب والنشر ، القاهرة ، 2009
- نصيف فهمي منقريوس : الاتصال بين الجوانب الانسانية والتكنولوجية المعاصرة ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 2010 .
- نوال محمد عطية : علم النفس اللغوي ، ط3 ، المكتبة الاكاديمية ، القاهرة ، 1995 .

الاطروحات:

- سلاف شهاب الدين يغمور : التواصل غير اللفظي في الابانة والتواصل ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب ، جامعة بيرزيت ، فلسطين ، 2019.

المقالات:

- حسن الهلالي : التواصل غير اللفظي في التراث العربي الاسلامي ، مجلة علامات ، ع 26 ، نشر سعيد بنكراد ، المغرب ، 2006 .
- فريدة عكروت : الاتصال غير اللفظي ، مجلة الحوار الثقافي ، ع 2015 ،كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ، الجزائر ، 2015 .

المداخلات :

- عماد فاروق محمد : اساليب الاتصال غير اللفظي وزيادة فاعلية اجتماعات الجماعات الصغيرة ، بحث منشور في المؤتمر العلمي الدولي الثاني والعشرون ، مج 9 ،كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، مصر ، 2009 .